وسائل إصلاح المجتمع

ودور الشباب بهذا الواجب

سماحة الشيخ
عبد العزيز بن عبد الله بن باز

الآجرّي
WWW.AJURRY.COM

وسائل

إصلاح المجتمع

ودور الشباب بهذا الواجب

سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

شبكة الإمام الآجري
www.ajurry.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِين، وَالعاقبةُ للمُتَّقين، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلامُ عَلَىٰ عبْده ورَسُوله، وَخِيرَته مِنْ خَلْقه، وَأمِينه عَلىٰ وَحْيِه، وَحَبيبه؛ مُحَمَّد بْن عَبْدالله، وَعَلىٰ آلِه وَأصْحَابه، وَمَنْ سَلَك سَبِيلَه وَاهْتَدىٰ بهُداه إلىٰ يَوْمِ الدِّين.

أما بعد:

أيها الإخوة الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إنه من أعظم النِّعم، ومن أعظم الساعات التي يُرجىٰ فيها الخير: اللقاء بالإخوة والأبناء في سبيل الله؛ للتوجيه إلىٰ الخير وللتعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

وإني بهذه المناسبة أشكر الله -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ هذه النعمة؛ نعمة اللقاء بالإخوة الأحبة والأبناء، ثم أشكر القائمين علىٰ هذا المخيم؛ علىٰ قيامهم به، وعلىٰ عنايتهم به، وعلىٰ دعوتهم لي لحضور هذا اللقاء.

وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يجعله لقاءً مباركا، وأن يُصلح قلوبنا وأعمالنا جميعًا، وأن يجعلنا وإياكم هداةً مهتدين، صالحين مُصلحين، وأنصارًا للحق، ودعاةً إليه علىٰ بصيرة، إنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ سميعٌ قريب.

أيها الإخوة الكرام؛ إنّ كلمتي عنوانها: **وَسائلُ إِصْلاحِ الْمُجْتَمع وَدوْر الشَّباب بهذا الْوَاجِب**.

لا يخفىٰ علىٰ الجميع حالة المسلمين اليوم، بل حالة العالم كله؛ إنّ العالم كله في أشدِّ الحاجة إلىٰ الدعوة إلىٰ دين الإسلام، في أشدِّ الحاجة إلىٰ من ينقذه مما هو فيه؛ من ظلمات الكفر والضلال والجهل، والإعراض عن الحق.

والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- بعث الرُّسل -عَلَيْهِم الصَّلاةُ وَالسَّلام- لإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، لهدايتهم إلىٰ سبيل الرشاد، للدعوة إلىٰ الله، وإقامة الأدلة، وإيضاح الحق، ونشر الدعوة الإسلامية، وبيان ما يضادها من أخلاقٍ، وأقوالٍ، وأعمال.

وأنزل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- الكتب علىٰ الرُّسل لبيان هذا الحق الذي بُعثوا به؛ وهو دعوة الناس إلىٰ توحيد الله، والإخلاص له، واتّباع شريعته، وترك ما خالف ذلك.

وما ذاك إلا لأن الله -عَزَّ وَجَلَّ- إنما خَلق الخلق ليُعبد وحده لا شريك له، لم يخلقهم عبثًا -سُبْحَانَه وَتَعَالَىٰ-، ولم يتركهم سُدَىٰ، ولم يخلقهم ليتكثَّر بهم من قلة، ولا ليتعزَّز بهم من ذِلَّة؛ بل هو -سُبْحَانَهْ- الغنيُّ بذاته عن كل ما سواه -جَلَّ وَعَلَا-، ولكنه -سُبْحَانَه- خلق الخلق ليعبدوه، ليخصُّوه بالعبادة، وليعلموا أنه -عَزَّ وَجَلَّ- علىٰ كل شيء قدير، وبكل شيءٍ عليم، ليعرفوه بأسمائه وصفاته، ليُعظِّموا أمره ونهيه، لينقادوا لشريعته، ليتباعدوا عمّا نهىٰ عنه.

قال الله - عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال -سُبْحَانَهُ-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

قال -سُبْحَانَه-: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الطلاق: ١٢] .

فهو خلقنا لنعبُده، لنُعظِّم أمرهُ ونهيه، لنخُصَّه بعباداتنا؛ من دعاءٍ، وخوفٍ، ورجاءٍ، وتوكلٍ، ورغبةٍ، ورهبةٍ، وصلاةٍ، وصومٍ، وذبحٍ، ونذرٍ.. وغير هذا من الواجبات، هي حقه -سُبْحَانَه-؛

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة: ٥].

﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [غافر: ١٤].

وكان آدم -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- وذريته عشرة قرون كانوا علىٰ الهدىٰ، كانوا علىٰ توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ثم اختلفوا بوقوع الشرك، كما قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] يعني: فاختلفوا، وبعث الله النبيين، إذن كانوا أمةً واحدة علىٰ الحق والهدىٰ وتوحيد الله -كما قال ابن عباسٍ وغيره رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ-.

ثم وقع في الناس الشرك بسبب الغلو في الصالحين؛ مات جماعةٌ في قوم نوح يُدعَون: وُدًّا وسُواعًا، ويَغوثَ، ويَعوقَ، ونَسرًا، وكانوا قومًا صالحين، فعَظُم أمرهم علىٰ الناس وشقّ عليهم فراقهم وعَظُمت مصيبتهم، فجاء إليهم الشيطان -أعاذنا الله وإياكم منه- وزيَّن لهم أن يصوِّروا صورهم وأن ينصبوها في مجالسهم للذكرىٰ؛ ليذكروهم، حتىٰ يعبدوا الله كما كانوا يعبدونه، وقصْدُ الخبيث أن يصيدهم أو مَن وراءهم من الناس حتىٰ يؤذيهم الشرك، وحتىٰ يدعوهم لعبادته من دون الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فوقع ما أراده الخبيث، كما قال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سبأ: ٢٠] .

فلما جاء مَن بعدهم ممن جهل الحقائق والأسباب زيّن لهم الشيطان أنّ هذه الأصنام والصور تُعبد، وتُرجىٰ، وتُسأل، ويُستغاث بأهلها، ويُنذر لهم.. إلىٰ غير ذلك، فوقع الشرك في الناس من ذلك العهد القديم.

فبعث الله نوحًا -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام- يدعوهم إلىٰ توحيد الله ويُنذرهم الشرك بالله، ومكث فيهم ألف سنةٍ إلا خمسين عاما، مدةً طويلة، يدعوهم إلىٰ توحيد الله، ويُحذّرهم نقمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ومع ذلك ما آمن إلا القليل، وأكثرهم استمر في الطغيان والكفر بالله -عَزَّ وَجَلَّ-، وصار يوصي بعضهم بعضا بالكفر بالله، ومخالفة نوح -عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلام-، حتىٰ أوحىٰ الله إلىٰ نوح أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن به، ثم أرسل الله عليهم الطوفان فأغرقهم الله -جَلَّ وَعَلاَ-، إلا من كان مع نوح في السفينة فأنجاهم الله -جَلَّ وَعَلَا-.

وهكذا جاءت الأمم بعدهم؛ جاء قوم هود، وقوم صالح، وقوم شعيب، وقوم لوط، وقوم إبراهيم، ومن بعدهم، أُممٌ يتلو بعضهم بعضا. وأرسل الله إليهم الرُّسل؛ يدعوهم إلىٰ توحيد الله، وينذرهم نقمة الله، وتُذكرهم بمن كان قبلهم من الأمم وما جرىٰ عليهم، ولكن أبىٰ الأكثرون إلا العناد والمخالفة لأمر الله والسير علىٰ ما هم عليه من الباطل، فتتابعت العقوبات علىٰ أولئك.

ولم يزل ربنا -عَزَّ وَجَلَّ- يرسل في كل أمّةٍ نذيرا يأمرهم وينهاهم، ويبلغهم رسالات الله، حتىٰ ختم الله أولئك الأنبياء والرسل بأفضلهم وبإمامهم: محمد بن عبد الله عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلام.

ختم الله الرسالات والنبوات بهذا النبيِّ العظيم، فبعثه الله إلىٰ الناس كافة؛ عربهم وعجمهم، جِنِّهم وإنسهم، أغنيائهم وفقرائهم، حكامهم ومحكوميهم، يدعوهم إلىٰ توحيد الله، وينذرهم نقمة الله، ويذكِّرهم بمن كان قبلهم من الأمم، حتىٰ يجيبوا داعي الله، وحتىٰ ينقادوا لشرع الله.

قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وجاءت الأحاديث المتواترة عنه -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- دالةً علىٰ أنه خاتم الأنبياء وأنّ الله أنزله إلىٰ الناس عامة؛ للإنذار والبيان والتمهيد والدعوة.

وأصابه ما أصابه، كما أصاب من قبله من إخوانه المرسلين، اشتد عليه الأمر، وعاداه القريب والبعيد، وعظمت العداوة من قريش، واشتد عليه الأمر هو وأصحابه -رضي الله عنهم وأرضاهم- في مكة المكرمة، وأوذي في الله، وأوذي أصحابه، فصبر كثيرا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-، وصبر أصحابه.

ثم جرىٰ ما جرىٰ من الهجرة للحبشة من بعض أصحابه، ثم أذن الله له بالهجرة، لما أجمعت قريش علىٰ قتله أخرجه الله من بين أيديهم وأنجاه من شرهم ومكائدهم، وهاجر إلىٰ المدينة بعد البيعة العظيمة، التي بايعه الأنصار علىٰ أن يحموه ويحموا نساءهم وذرياتهم -رضي الله عنهم وأرضاهم-، فانتقل من مكة المكرمة إلىٰ المدينة وقَدِمها معزَّزًا، منصورًا، معظَّمًا، محبوبًا -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-، أوفىٰ الأنصار بما قالوا؛ أوفوا بعهدهم وببيعتهم، وناصروا دعوة الحق؛ ناصروا الرسول عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ، وناصروا إخوانهم المهاجرين، واسوهم بأنفسهم وأموالهم.

واستقر نبي الله في المدينة المنورة وصارت له دولة، وصارت له قوة، وانتشرت دعوة الحق بين الناس، وقامت سبل الجهاد، ولم يزل -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- يجاهد في سبيل الله، وينطلق من العاصمة الأولىٰ -المدينة المنورة- مجاهدًا في سبيل الله بين قبائل العرب، يُعزِّه الله وينصره عليهم.

ولم يزل الإسلام يقوىٰ ويُنصَر أهله، ويكثر أهله في المدينة، ويتوافد عليها الناس من المهاجرين من كل مكان، حتىٰ منَّ الله عليه بفتح مكة بعد جهاد طويل، وبعد غزواتٍ لا تخفىٰ علىٰ أهل العلم، وبعد صلح الحديبية -المعروف- عام ستٍّ من الهجرة، وبعدما فتح الله عليه خيبر، وبعد ذلك كله، وبعدما نقضت قريش عهدها فتح الله عليه مكة في عام ثمانٍ من الهجرة في رمضان، ثم دخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا، فالحمد لله علىٰ نعمه الظاهرة والباطنة.

ثم استمر -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- في الدعوة والجهاد والإرشاد وإظهار دين الله وإقامة حدود الله في أرض الله حتىٰ قبضه الله إليه وانتقل إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، بعدما بلَّغ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-.

ثم قام أصحابه بعده بالجهاد والدعوة، حتىٰ فتحوا الفتوحات، وكسَّروا كسرىٰ، وكسَّروا القيصر، ونشروا دين الله في أرض الله، وما زال الإسلام يظهر ويقوىٰ في عهد الصحابة -رضي الله عنهم وأرضاهم-، حتىٰ ملكوا غالب الدنيا، وانقادت لهم الدنيا، ما بين مسلمٍ، وما بين مُؤدٍّ

للخراج، وما بين مُؤدٍّ للجزية، وانتشر دين الله، وعلت راية الله، وانقاد العباد، ودخلوا في دين الله أفواجًا، ومنهم من بقي علىٰ كفره ودينه وسلَّم الجزية أو الخراج.

ثم بعد ذلك تغيرت الأحوال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]؛ تغيرت الأحوال بعد ذلك، وفشىٰ في الناس ما فشىٰ من المعاصي والشرور والحرص علىٰ الرئاسة، وحصل النزاع بين الناس في القرن الثاني وما بعده، وحصلت أمورٌ لا تخفىٰ، فقد بيّنها التاريخ، (..) أئمة الإسلام.

وعَلِم أهل العلم والإيمان أنَّ هذه الأمة لا يُصلحها إلا ما أصلح أوَّلها، وأنَّ الذي أصلح أولها هو تمسكها بدين الله، واستقامتها علىٰ أمر الله، وجهادها في سبيل الله، مجتمعةً متعاضدةً متعاونة، وأنَّها متىٰ تفككت واختلفت وتنازعت طمع فيها الأعداء، وفرَّقوا شملها، ولذلك قام المصلحون في كل قرن وفي كل زمان، يدعون الناس إلىٰ توحيد الله، والاجتماع علىٰ كلمة الله، وإلىٰ تحكيم شريعة الله، والجهاد في سبيله، ونبذ النزاع والخلاف وراءهم، فمن استقام علىٰ ذلك في أي مكان وفي أي دولة أعزَّه الله ونصره ورفع شأنه، وانقادت له الأمور، ومن أعرض عن هذا الأمر العظيم ولم يستقم عليه اختلفت عليه الأمور، وطمع فيه الأعداء، ونزلت فيه النكابات. والتاريخ شاهدٌ بذلك.

ثم في آخر الزمان، في هذه الجزيرة العربية، قام الإمام المجدد الشيخ: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي التميمي الحنبلي –رحمه الله ورضي عنه– لمَّا رأىٰ ما الناس فيه من الانحلال والفساد والجهل العظيم، والعبادة لغير الله، وانتشار الشرك بين العباد، وتحكيم سوالف الآباء والأجداد، وظهور المنكرات والبدع والأهواء؛ شمَّر عن ساعد الجدِّ، ودعا الناس إلىٰ توحيد الله، وكتب الرسائل، وألَّف المؤلفات، في حريملاء والعُيَيْنة، ولم يزل يدعو إلىٰ الله، ويرغِّب الناس في

الحق، وينشر لهم توحيد الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويتلو عليهم الآيات والأحاديث حتىٰ هدىٰ الله علىٰ يده من هدىٰ، وصار هناك كلمة ودعوة وتعاونٌ علىٰ البر والتقوىٰ.

ثم تغيرت الأحوال في العُيَيْنة، وصار شيءٌ من الأسباب التي دعت إلىٰ الهجرة -كما هو معروف في التاريخ-، فانتقل رَحِمَهُ اللَّهُ من العُيَيْنة -لأسبابٍ أوجبت ذلك- إلىٰ الدِّرْعيَّة، مهاجرًا، وطالبًا من أميرها النصرة والتعاون علىٰ البر والتقوىٰ، فآواه أميرها وفرح بذلك، وبايعه علىٰ دين الله والدعوة إلىٰ سبيل الله والجهاد في سبيل الله، فاستقام لهم الأمر بحمد الله، وأصلح الله لهم النيات والأعمال، فتكاثفوا وتعاونوا علىٰ الحق والهدىٰ، وقام سوق الجهاد، وقامت الدعوة في الدِّرعية، ثم سار المجاهدون في كل مكان من هذه الجزيرة، دعاةً للحق ومجاهدين في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، وأرسل الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ رسائله الكثيرة إلىٰ أطراف البلاد وإلىٰ علمائها حتىٰ ظهر الحق، وظهرت الدعوة، ومن هداه الله من العلماء والأمراء.

ولم يزل الجهاد قائما، والدعوة إلىٰ الله قائمة حتىٰ حصل ما حصل بحمد الله من التمكين في الأرض وانتشار دين الله ودخول الناس في دين الله أفواجا، حتىٰ استقام أمر هذه الجزيرة علىٰ آل سعود وحَكَموها بشريعة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وانتشرت العلوم في المساجد؛ تُدرَّس علوم الحديث وعلوم التفسير وعلوم الفقه وعلوم الآلة وعلوم (..) في مساجد الله وبيوت الله -عَزَّ وَجَلَّ-، حتىٰ تعلّم الجاهل، وانتشر الحق، وقام سوق العلم في هذه الجزيرة؛ في شرقها وغربها، وجنوبها وشمالها -و لله الحمد علىٰ ذلك-.

وصار آل الشيخ وآل سعود في دعوتهم وتعاونهم يشبهون الأنصار والمهاجرين في القرن الأول؛ فآل سعود يشبهون الأنصار لنصرهم الحق، وقيامهم بأمر البيعة، وجهادهم في سبيل الحق. وآل الشيخ يشبهون المهاجرين؛ جاءوا مهاجرين، وهكذا من جاء معهم من أهل العلم والإيمان من سائر أقطار هذه الجزيرة ومن غيرها، دعاةً للحق، ومؤيدين لدعوة الشيخ، فصاروا أشبه شيءٍ بالمهاجرين الذين انتقلوا إلىٰ المدينة، وواساهم وساعدهم الأنصار.

فتكاثف الجميع: آل سعود وآل الشيخ ومن سار معهم من العلم والإيمان من سائر الناس، فقام بهم سوق الجهاد، وقام بهم سوق الدعوة إلىٰ الله –عَزَّ وَجَلَّ– وانتشر الحق بهم، وهدىٰ الله بهم من هدىٰ، حتىٰ استقامت هذه الجزيرة علىٰ دين الله وعلىٰ الحق والهدىٰ، ولله الحمد والمنة علىٰ ذلك.

ثم لما حصل بعض التغيير وبعض النقص والخلل سُلِّط الأتراك والمصريون علىٰ دعاة الحق وعلىٰ سكان هذه الجزيرة وعلىٰ حكامها، فجرىٰ ما جرىٰ مما هو معروف في التاريخ؛ وحاصر الأتراك والمصريون الدِّرعية مدةً طويلة، وجرت نكباتٌ عظيمة، وشرورٌ كثيرة بسبب أعداء الله، وبسبب المرتدِّين عن دين الله وبسبب أذناب الكفرة، ولكن الله –بحمده وإحسانه جَلَّ وَعَلَا– ردّ الكرَّة لما جرىٰ ما جرىٰ في الدِّرعية من الهزيمة وهدم البلاد ونقْل بعض أهل الشيخ آل سعود إلىٰ مصر، لما جرىٰ ما جرىٰ لم ينهزم الحق بحمد الله؛ بل رد الله الكرَّة بعد مدةٍ يسيرة.

بعد سنواتٍ قليلة رجع الأمر –بحمد الله– إلىٰ نصابه، وقام الإمام تركي بن عبد الله بن محمد آل سعود سنة أربعين، واستقام له الأمر وتمَّت له البيعة –بحمد الله– بعد ستِّ سنواتٍ من تخريب الدِّرعية، وما جرىٰ فيها مما جرىٰ، ثم رد الله الكرَّة وقام سوق الدعوة والجهاد علىٰ يد تركي، ثم فيصل، ثم ابنيْه، ثم جرىٰ ما جرىٰ من التغيير أيضا والنكبات والنزاع والخلاف، وحصل ما حصل من المصائب العظيمة، وجرىٰ علىٰ هذه البلاد من المصائب والشرور والفتن ما هو معروفٌ في التاريخ.

ثم يسَّر الله للإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن –رحمة الله عليه– فقام بجدِّه واجتهاده ناصرًا للحق، وداعيًا للحق، ومجاهدًا في سبيل الحق، حتىٰ جمع الله علىٰ يديه أهل هذه الجزيرة، وحكَّم كتاب الله وسنة نبيه في هذه الجزيرة، ودخل الناس بعد ذلك في دين الله أفواجا وتلاحق الناس بالحق وجمع الله به الكلمة، وجاهد الأعراب وغير الأعراب لمَّا عثوا في الأرض فسادًا حتىٰ رجعوا إلىٰ الحق والصواب، وحتىٰ استقام أمر هذه الجزيرة علىٰ دين الله، وعلىٰ شريعة الله –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ–. فالحمد لله علىٰ دينه، وعلىٰ ما منَّ به من الخير والهدىٰ والصلاح.

أيها الإخوة الكرام:

إنه لن يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وإنّ الذي أصلح أوّلها وأصلح من أصلح بعد ذلك في سائر أزمان التاريخ إنما هو الاستقامة علىٰ أمر الله، والجهاد في سبيله والاستقامة علىٰ الحق، هذا هو الطريق الذي به الصلاح والهدىٰ، وبه صلاح المجتمع، وبه استقامة أمر الناس علىٰ دين الله، وبه ظهور الحق، وبه هدْم الباطل؛ هو الاجتماع علىٰ الحق، هو التعاون علىٰ البر والتقوىٰ.

وسائل الإصلاح منحصرةٌ في أربعةِ أصولٍ بيَّنها الله – سبحانه– في قوله:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١- ٣]

❖ وسائل الإصلاح تنحصر في هذه الأصولِ الأربعة:

1. الإيمان الصّادق.
2. والعمل الصّالح.
3. والتّواصي بالحق.
4. والتّواصي بالصّبر.

هذه وسائل الإصلاح..

- الإيمان؛ إنما يحصل بالعلم والبصيرة، علىٰ الهدىٰ، وعلىٰ التفقه في الدين.
- ثم بعده العمل الصالح.
- ثم بعد ذلك التواصي بالحق؛ وهو: الدعوة إلىٰ الله، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، وهذا من العمل الصالح ومن الإيمان، ولكن الله نصَّ عليه لعِظَم شأنه، ولشدة الضرورة إليه، ومن جملة ذلك. والتواصي بالحق والنهي عن المنكر، ونشر دين الله؛ بالقلم وبالخطابة وبالتأليف، وبالتواصي الفردي والجماعي، كل هذا من أسباب انتشار دين الله.
- ثم الصبر علىٰ ذلك، لا بد من الصبر.

ومن التواصي بالحق، ومن الإيمان، ومن العمل الصالح: الجهاد في سبيل الله؛ فهو إيمانٌ، وهو عملٌ صالح، وهو تواصٍ بالحق، وهو صبرٌ عليه.

فالجهاد في سبيل الله، باللسان وبالسِّنان، كله من التواصي بالحق، وكله من الإيمان، وكله من العمل الصالح، وكله من الصبر.

فسبيل النجاح، وسبيل السعادة، وسبيل الربح إنما هو منحصرٌ في هذه الأصول الأربعة:

- الإيمان بالله ورسوله إيمانًا صادقًا، إيمانًا يشتمل علىٰ توحيد الله والإخلاص له، والتصديق لرسول الله –عَلَيْه الصَّلاةُ وَالسَّلامْ–، واتِّباع شريعته وتحكيمها والتحاكم إليها.
- والعمل الصالح؛ الذي هو أداء فرائض الله وترك مناهي الله، والوقوف عند حدود الله.
- والأمر الثالث هو: التواصي بالحق؛ من الدعوة إلىٰ الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجيه إلىٰ الخير.
- والصبر علىٰ ذلك، والثبات علىٰ ذلك، والتعاون علىٰ ذلك.

هذه طريق الإصلاح، هذه وسائل الإصلاح، هذه سبل السعادة.

❖ ودور الشباب في هذا؛ هو: التَّفقه في الدين.

هو: التَّفقه؛ التفقه لا من أجل الشهادة، ولا من أجل الوظيفة، ولكن يتفقه في دين الله ليعرف الحق، وليعمل به، ويدعو إليه. وما جاء بعد ذلك من وظيفةٍ ومال، كل ذلك مما يعين الله به العبد إذا أصلح الله نيته. فالهدف الأول والقصد الأول: هو التفقه في دين الله، ثم العمل بطاعة الله، وترك محارم الله، ودعوة الناس إلىٰ ذلك.

الشباب هم رجال الغد وهم الأمل –بعد الله عَزَّ وَجَلَّ– للنهوض بالأمة، علىٰ العلم والبصيرة والهدىٰ، حتىٰ يتأسوا بالشيوخ ويأخذوا بما أخذوا به ويتعاونوا معهم، والشيوخ لهم التجارب ولهم العلم السابق ولهم التوجيه والإرشاد، والشباب عليهم النهوض والجد والنشاط

وأن يستغلوا قوتهم ونشاطهم وعلمهم لدعوة الناس إلىٰ الخير، وللتعاون مع آبائهم وأشياخهم علىٰ نصر دين الله، وإعلاء كلمة الله، وتنفيذ أمر الله في عباد الله، والصبر علىٰ ذلك.

هذا هو الطريق، وهذا هو الهدىٰ، وهذا هو دور الشباب أينما كانوا؛ تفقُّهٌ في دين الله، وتعلُّمٌ لله! لا تعلُّمٌ للوظيفة، ولا للمال، لكن يتعلم ويتفقه في دين الله، بكتاب الله وبسنة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- ليَفقَه الحق ولِيَعْلم الحق، ولِيعْمل به، ولِيدْعو الناس إليه.

قال النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- في الحديث الصحيح: «من يُرِد الله به خيرًا يفقهه في الدين »[1].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ: «من سلك طريقا يلتمس فيه علمًا سهَّل الله له طريقًا إلىٰ الجنَّة»[2]

فعلينا جميعا أن نُعنَىٰ بالفقه في الدين، وأن نُقبل علىٰ كتاب الله -القرآن-، وعلىٰ سنة الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-؛ تفقُّهًا وتعلُّمًا.

وأن نتواضع، ولا نتكبر؛ بل نتواضع، ونسأل أهل العلم عمّا أشكل علينا، ونتذاكر فيما بيننا، الطالب يذاكر أخاه، يذاكر الزميل فيما أشكل عليه، ولا يترفَّع ولا يتكبَّر، ويسأل أستاذه، ويسأل أهل العلم عمّا أشكل عليه، ويطالع ويذاكر.

ويحفظ وقته، لا يضيع دقيقة في غير فائدة؛ بل يحفظ وقته، ليله ونهاره، إما في علمٍ، وإما في عملٍ، وإما فيما يعينه علىٰ ذلك من راحةٍ ونومٍ وأكلٍ وشربٍ يُحتاج إليه، ونحو ذلك.

هكذا يكون طالب العلم، هكذا يكون طالب النجاة، هكذا يكون المُصلح الذي يريد الآخرة؛ يحفظ وقته ويصون ساعاته ودقائقه وثوانيه، يحفظها ولا يصرفها إلا في طائل؛ إلا في فائدة في دينه ودنياه.

---

(1) عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال سمِعت النبيَّ ﷺ يقول: «من يُرِدِ الله به خيرًا يُفَقِّهْهُ في الدِّين، وإنما أنا قاسِمٌ والله يُعطي، ولن تزال هذه الأمة قائمةً علىٰ أمر الله، لا يَضُرُّهم مَن خالفهم، حتىٰ يأتي أمر الله ».

رواه البخاري (71) في كتاب: العلم، باب: من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين.

(2) رواه مسلم (2699) في كتاب: الذكر، باب: فضل الاجتماع علىٰ تلاوة القرآن وعلىٰ الذكر.

ثم: **النية الأساس.. النية الأساس!**

يقول النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ–: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوىٰ»[1]، فعلينا أن نصلح النية؛ علينا أن نتعلم لنعرف الحق، ولنعمل بالحق، ولندعو الناس إلىٰ الحق، لا نتعلم لنُوظَّف، ثم نأخذ معاشا، ثم نموت، لا..! ولكن نتعلم لنعرف الحق، ولنعمل به، ولندعو الناس إليه، ونستعين بنِعَم الله، وبما يسَّره الله من مال أو وظيفة، نستعين بذلك علىٰ طاعة الله، وعلىٰ إبلاغ دعوة الله، وعلىٰ توجيه الناس إلىٰ الخير، وعلىٰ الأخذ بأيديهم إلىٰ الحق والهدىٰ، نأمر بالمعروف وننهىٰ عن المنكر.

وهذا الواجب ليس خاصا بفئةٍ معينة، لا..! هذا واجبٌ علىٰ الجميع، هذا واجبٌ علىٰ الأمة كلها، كلٌّ بحسب طاقته.

قال الله –جَلَّ وَعَلَا– في كتابه العظيم: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال –عَزَّ وَجَلَّ–: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ (الآية) [التوبة: ٧١].

هذا واجب الجميع؛ علىٰ طلبة العلم وعلىٰ الأشياخ والأساتذة وعلىٰ عامة المسلمين التعاون في هذا الأمر: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتوجيه إلىٰ الخير، والأخذ علىٰ يد السفيه ونصره علىٰ الحق، بالكلام وبالقوة؛ بالكلام من عامة الناس ومن طلبة العلم، وبالقوة من القادر الذي جُعل له سلطان في جهة معينة؛ من الوالد علىٰ ولده، ومن الأمير علىٰ رعيته، بقدر طاقته؛ ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

---

(1) متَّفقٌ عليه: رواه البخاري (1) في كتاب: بدء الوحي. ومسلم في كتاب: الإمارة (1907). وأصحاب السنن الأربعة. من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ولهذا قال النبي الكريم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- في الحديث الصحيح: «من رأىٰ منكم منكرا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[1].

وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ: «ما بعث الله من نبيٍّ في أمّةٍ قبلي إلا كان من أمّته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويَقْتَدون بأَمْره، ثم إنَّها تَخْلُفُ من بعدهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهَدَهم بيده فهو مؤمن، ومن جَاهَدَهُم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهَدَهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[2].

والجهاد باليد لكل ولاة الأمور -ولمن جُعل له ذلك-، وللإنسان مع أهل بيته ونحو ذلك. واللسان عام؛ لأهل العلم والإيمان. والقلب آخر شيء.

أيها الإخوة الكرام:

إننا في غربةٍ من الإسلام، نحن في غربةٍ عظيمة؛ قال النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-: «بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبىٰ للغرباء »[3]. قالوا من الغرباء؟ قال: «الذين يَصلحون إذا فسد الناس»[4] وفي لفظ آخر: «الذين يُصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي»[5].

وفي لفظ آخر قال: «هم النُّزّاع من القبائل»[6]، وفي لفظ آخر قال: «هم أناس صالحون قليل في أناس سوء كثير»[7].

---

(1) رواه مسلم (49) في كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان. من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(2) رواه مسلم (50) في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص، من حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(3) رواه مسلم (145) في كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا. من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(4) رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (1273).

(5) رواه الترمذي في سننه (2630)، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء أنّ الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا. وقال: حديث حسن صحيح.

(6) رواه الإمام أحمد في مسنده (5/ 296). وابن ماجه (3988) في السنن. وصحَّحه البغوي في شرح السنَّة (1/ 118).

(7) رواه الإمام أحمد في مسنده (10/ 136)، من حديث عبدالله بن عمرو. وصحَّحه الألباني في السلسلة الصحيحة (3464).

وفي لفظ آخر أنه قال –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام–: «يأتي علىٰ الناس زمان الصابر فيه علىٰ دينه كالقابض علىٰ الجمر»[1]، «للعامل فيه أجر خمسين. قيل: يا رسول الله منّا أو منهم؟ قال: منكم»[2] – من الصحابة–.

العامل في الغربة؛ الداعي إلىٰ الله والآمر بالمعروف والناهي عن المنكر له أجر خمسين من الصحابة، هذا خيرٌ عظيم، وفضلٌ كبير! لأن أعوانهم قليلون، أما الصحابة فكان أعوانهم كثيرون. والذي في الغربة أعوانه قليل، والعلم قليل.

من وفَّقه الله وأعانه وبصَّره، فدعا إلىٰ الله وعلَّم وأرشد وصبر أعطاه الله أجر خمسين، مع أن الله يعطيه مثل أجور من هداه الله علىٰ يديه.

كما قال النبي –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ–: «من دلَّ علىٰ خيرٍ فله مثلُ أجر فاعله»[3].

وقال لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فوالله لَأن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك من أن يكون لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »[4]؛ عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو المخاطَب، لكن المقصود الأمة كلها، كل من هدىٰ الله علىٰ يديه خيرٌ له من حُمْر النِّعم.

أيها الإخوة، أيها الأبناء:

نحن في حاجةٍ شديدةٍ إلىٰ نشاطٍ في الحقّ، إلىٰ صبرٍ ومصابرة، إلىٰ تعاونٍ علىٰ البر والتقوىٰ، بالحكمة، لا بالهوىٰ، ولا بالمقاصد السيئة، لكن بالحكمة والعلم، بالهدىٰ وبالبصيرة، ندعو إلىٰ الله، نوجه الناس إلىٰ الخير، نعطف عليهم، نرحمهم بالأسلوب الحسن، بالعطف، بالكلام

(1) رواه الترمذي (2260) في كتاب: الفتن عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في النهي عن سب الرياح.

(2) رواه الترمذي في تفسير القرآن (3058)، و أبو داود في الملاحم (4341).

(3) رواه مسلم (1893)، في كتاب: الإمارة، باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(4) متَّفق عليه: رواه البخاري(3009)، في كتاب: الجهاد والسير، باب: فضل من أسلم علىٰ يديه رجل، وبرقم (2942) باب: دعاء النبي ﷺ الناس إلىٰ الإسلام والنُبوّة، وأن لا يتّخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، وفي كتاب: المناقب (3701)، باب: مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي. ومسلم (2406) في كتاب: فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، باب: فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. من حديث سهل بن سعدٍ الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الطيب، نرشدهم إلىٰ الخير، ونعلمهم دين الله، ونبصِّرهم حق الله، وندعوهم إليه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-، ونتواصىٰ معهم بالحق، ونتواصىٰ معهم بالصبر.

لكن نبدأ بأنفسنا؛ فنسارع إلىٰ دين الله، ونحافظ علىٰ الصلوات في الجماعة حتىٰ نكون قدوة.

طالب العلم يجب أن يكون قدوةً صالحة؛ فيكون محافظا علىٰ الصلوات، مسارعًا إليها في جماعة، ويكون أيضا مُظهِرًا لأحكام الشريعة، مستقيمًا عليها، حتىٰ يكون قدوة صالحة؛ في شعوره، في ملبسه، في كل شيء، في اللحية (يوفِّرها، يكرمها، يرخيها)، في ثيابه (لا يسبل ثيابه)، لا يتعاطىٰ ما حرَّم الله عليه، بل يجاهد نفسه، يجاهدها لله في كل شيء، حتىٰ يكون قدوة صالحة، حتىٰ يتأسىٰ به إخوانه وزملاؤه، وحتىٰ يتأسىٰ به العامة في أعماله الطيبة، وفي أخلاقه الكريمة، وفي جوده، وفي إحسانه، وفي المسارعة إلىٰ الخير، في أمره بالمعروف، وفي نهيه عن المنكر، وفي بدئه بنفسه وجهاده لنفسه.

أيها الإخوة، أيها الأبناء:

لا نزهد في علم العلماء وفي كتبهم؛ بل نترحَّم عليهم وندعو لهم. هم سبقونا إلىٰ الخير، سبقونا إلىٰ العلم، وألَّفوا المؤلفات النافعة المفيدة، فنترحَّم عليهم وندعو لهم، ونعرف لهم أقدارهم وفضلهم، ونستعين بكتبهم، لكن لا نتعصب لأحد، ولا نقلِّد أحدًا تقليدًا أعمىٰ؛ بل نرجع إلىٰ كتاب الله، وإلىٰ سنة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ-، ونعمل بذلك، ونستعين بما قال أهل العلم والإيمان في ذلك. نستفيد من كتبهم، ومن تجاربهم، ومن أعمالهم، ومن مؤلفاتهم، وندعو إلىٰ الله علىٰ بصيرة.

قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ [النساء: ٥٩]؛ (أولو الأمر): هم العلماء والأمراء، يعني في طاعة الله وفي المعروف -كما جاء في السنة-.

ثم قال بعد ذلك: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ لا تردُّوه إلىٰ فلان أو فلان؛ ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾؛ (إلىٰ الله): كتابه العزيز، (إلىٰ الرسول): إليه في حياته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامْ- وإلىٰ سنته بعد وفاته، ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

علينا معشر طلبة العلم أن نُعنىٰ بالعلم، علينا أن نقصد العلم بالعلم والعمل، لا لأي شيء آخر، لا لوظائف، ولا لمال، ولا لسمعةٍ ورياء، ولا لغير ذلك، بل نقصد العلم للعلم؛ لنفقه، لنعرف دين الله، لنعلم ما يجب علينا وما يحرم علينا حتىٰ نعمل بطاعة الله علىٰ بصيرة، حتىٰ ندع محارم الله علىٰ بصيرة، حتىٰ نُعلِّم غيرنا، حتىٰ ننقذ غيرنا من الجهالة، حتىٰ ندعو إلىٰ الله، حتىٰ نرشد إلىٰ الحق علىٰ علم وهدىٰ، ومع ذلك نتعاون مع أشياخنا ومع مدرسينا ومع عيالنا، نتعاون معهم علىٰ الحق، مع الرجال والنساء، مع أهل التجارب، مع أهل البصائر، مع أهل الخير حتىٰ ولو كانوا من كانوا، ماداموا دعاةً للحق، ماداموا معينين علىٰ الحق نتعاون معهم ونتواصىٰ معهم بالحق.

لا بد من التواصي؛ هذا الأصل الثالث: التواصي بالحق؛ مع الرجال، والنساء، والحاضرة والبادية، والحكومة والأعيان.. وغير ذلك.

المؤمن هدفه الحق؛ هدفه الحق أينما كان، من كان داعيا للحق فهو أخونا نتعاون معه باللسان والمال والبدن وبكل ما نستطيع لتحقيق أمر الله، ولإظهار دين الله، وللدعوة إلىٰ سبيل الله، ولإقامة دين الله، ولترك ما حرَّم الله، وللوقوف عند حدود الله، نرجو ثواب الله ونخشىٰ عقاب الله، المقصود وجه الله -جَلَّ وَعَلَا- والتقرب إليه، وطلب ثوابه، لا رياءً ولا سمعة، ولا وظيفة، ولا مال، هذه تأتي بعد ذلك.

من آثر ما عند الله فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، ومن أراد وجه الله أعطاه الله الدنيا والآخرة، ويسّر أمره -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-؛ يقول -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ

لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ [الإسراء: ١٨ – ١٩].

أوصيكم ونفسي -أيها الأبناء والإخوة- ؛ بتقوىٰ الله، وأوصيكم بالاستقامة علىٰ أمر الله، أوصيكم بالجد في طلب العلم، والتفقه في الدين، والإخلاص في ذلك، وأن تتعاونوا فيما بينكم.

وإياكم والكبر، إياكم والتكبر عن السؤال عن العلم! عن سؤال الأستاذ أو الزميل أو غيرهم من أهل العلم، لا تكسلوا، ولا تضعفوا، ولا تتكبروا عن طلب العلم.

قال مجاهد -التابعي الجليل- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ((لا يتعلَّم العلم مُسْتَحيٍ ولا مُسْتكبر))[1].

المستحي يتأخر ولا يتعلم، وكذلك المتكبر، يبقىٰ في جهله، ولكن طالب العلم يطلب العلم ويزاحم، ويحرص، ويسافر، ويتنقل لطلب العلم، إخلاصًا لله ومحبةً له وطلبًا لمرضاته.

طالب العلم يُهين نفسه؛ يهينها ويجاهدها حتىٰ تتعلم، ومن أهانها اليوم فقد أعزّها، من أهان نفسه لطلب العلم فقد أعزّها، ومن أعزّها -بزعمه- بالتكبر، فقد أذلَّها.

ثم: أمرٌ آخر يجب أن يُراعىٰ؛ وهو أنّ طالب العلم لا يزال -أبدًا- في طلب العلم، لا تقل أخذت الشهادة الجامعية أو شهادة الماجيستير أو الدكتوراه: انتهيت ..لا!! أنتَ في طلب العلم حتىٰ تموت، وما فاتك أكثر، ما علمتَ إلا قليل ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، فأنتَ إذا أخذتَ الشهادة، تهيأتَ لطلب العلم، تهيأتَ لأخذ العلم ومعرفة العلم، فاعلم أنّك لا تزال في طلب العلم -أبدًا-، ولو كنتَ ابن مائة سنة أو أكثر، فأنتَ في طلب العلم.

احرص علىٰ طلب العلم واعرف أنّ علمك قليل، وأنّك بحاجة للعلم، وأنّ العلم كثير، فاصبر وصابر، ولو كنت أستاذا، ولو كنتَ مؤلفا، ولو كنتَ يشار إليك فاعرف أنّك محتاج وأنّ

(1) رواه البخاري تعليقا في كتاب: العلم، باب: الحياء في العلم.

علمك قليل، وأنّ جهلك أكثر، فسارع إلىٰ طلب العلم، والتفقه في الدين، ومراجعة الكتب، وسؤال أهل العلم عما أشكل، ولا تزال -أبدًا- هكذا حتىٰ تلقىٰ ربك -عَزَّ وَجَلَّ-.

أيها الإخوة الأساتذة، أيها الإخوة المدرِّسون:

إن الواجب عليكم عظيم؛ أنتم القدوة لأبنائكم الطلبة، فاتقوا الله في أبنائكم، اتقوا الله في أبنائكم! كونوا قادةً صالحين، كونوا هداةً مهتدين، كونوا قدوةً بالأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة والمسارعة إلىٰ الخير، والحذر من الشر، كل واحدٍ يُدرِّس الناس فهو قدوة، فالواجب عليه عظيم، ومسؤولية كبيرة، فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله.

أيها الأساتذة والأبناء وأيها المستمعون جميعا؛ أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله والمسارعة إلىٰ مراضيه والحذر من مساخطه، وأن نحاسب أنفسنا دائما، وأن نجاهدها دائما.

فكل واحدٍ منا في خسران، كل واحدٍ في خسران ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ هؤلاء هم الرابحون، هؤلاء هم السعداء، هم أهل الخير، هم العلماء والهداة، بإيمانهم وصدقهم، وعملهم الصالح، وتواصيهم بالحق، وتواصيهم بالصبر، هؤلاء هم الرابحون!

ومتىٰ فاتك شيءٌ من هذا نالك من الخسران بقدر ما فاتك من هذه الخصال الأربع ؛

كلما نقصتَ في هذه الخصال الأربع نالك من الخسران بقدر ذلك -ولا حول ولا قوة إلا بالله!-

إن المسؤولية عظيمة علىٰ الطالب والأستاذ، وإن الواجب عظيم، ولا سبيل إلىٰ السلامة من هذه المسؤولية إلا بتقوىٰ الله، والجهاد في سبيله، والإخلاص له، والعمل بطاعته، وبذل الجهود الممكنة في كل خير، و ترك كل شر.

وأن تكون أيها الأستاذ قدوةً صالحة في درسك، وفي أعمالك، وفي كلماتك، وفي دعوتك إلىٰ الله -عَزَّ وَجَلَّ-، وفي سائر أحوالك، فاعلم أنه يُنظر إليك وأنه يُقتدىٰ بك، فاتق الله، اتق الله أن يراك التلميذ علىٰ معصية الله، اتق الله أن يراك علىٰ حالةٍ غير صالحة، فإنك قدوة وأنت أستاذه.

واتق الله أيها الطالب أن تعلم العلم وتسمع العلم ثم تعرض عنه فتكون بذلك مشابهًا لليهود، الذين عرفوا الحق ثم حادوا عنه؛ كل من عرف الحق ثم حاد عنه وآثر عليه الهوىٰ فقد شابه اليهود. ومن أعرض عن الحق ولم يطلبه وتساهل فقد شابه النصارىٰ.

فالنصارىٰ ضالون؛ تعبَّدوا علىٰ جهالة، واليهود غضب الله عليهم بسبب إعراضهم عن العلم؛ تعلَّموا وأعرضوا وآثروا الدنيا علىٰ الآخرة.

فاتق الله يا عبد الله، اتق الله أيها الأستاذ، اتق الله أيها الطالب، اتق الله أيها المسلم، اتق الله أن تعلم الحق ثم تحيد عنه إيثارًا لهواك، إيثارًا لقرابتك، إيثارًا لفلانٍ أو فلان.

اتق الله واعمل بالحق، وجاهد نفسك في ذلك، حتىٰ لا تشبه اليهود وحتىٰ لا تشبه النصارىٰ.

هذا؛ وأسأل الله -عَزَّ وَجَلَّ- أن يوفقنا وإياكم لمراضيه، وأن يصلح قلوبنا وأعمالنا جميعا وأن يهدنا سبيله القويم، وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.

و نسأله (أيضا) -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- أن يُصلح وُلاة أمرنا وأن يوفقهم للخير، وأن يصلح لهم البطانة وأن ينصر بهم الحق، وأن يذل بهم الباطل وأن يهيئ لهم من أمرهم رشدا.

كما نسأله -سُبْحَانَهْ- أن يُصلح ولاة الأمور في كل مكان، نسأله -سُبْحَانَهْ- أن يصلح المسلمين في كل مكان، وأن يولي عليهم خيارهم، وأن يصلح قادتهم وأن يزيح عنهم كل سوء وأن يرحم ضعفهم، وينصرهم بالحق، وينصر الحق بهم، ويولي عليهم الأخيار؛ إنه سميعٌ قريب.

وصلىٰ الله وسلم وبارك علىٰ عبده ورسوله نبينا محمدٍ وعلىٰ آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

• (..) كلمات غير مفهومة